

### تعتعة

### الوطن: وعى يتشكل!! إياكم أن يتخثر

حين ظهرت تعتعة الأسبوع الماضى عن تفسيرى لمعنى (وليس لشخص) حسن نصر الله، بالذات فى وعى النشء، سألتى أحد زملاي الأَصغر (تلميذى، إبني،..) عن ما هو الوطن عندي، وماذا كنت أعنى بالفقرة التى قلت فيها:

يتكون مفهوم الوطن فى وعينا منذ طفولتنا رغما عنا، ... يقفز مفهوم "الوطن" من داخلنا إلى قرب ظاهر وعينا حين تُذكر ألفاظ مثل "الأرض"، أو "الملك"، أو "القبر"، أو "الحرى"، أو "الخب"، أو "الناس" وإلى درجة أقل "الدين"، "العنصر" التاريخ

رحت أقرأ الفقرة من جديد لأجيبه، ودهشت أنه ليست عندي إجابة، وفرحت - كعادتي - حين أكتشف أني كتبت شيئاً "غريباً عنى أنا شخصياً"، أحياناً تتسرب مني الفكرة الجديدة ولا أكتشفها إلا وأنا أعيد قراءة ما كتبت، رحى أتعجب وأعذر السائل فعلاً، كيف يكون "القبر" مثلاً من المفاهيم التى تحرك الوطن داخلنا؟ أو: كيف يكون التاريخ أقل أهمية فى تحريك "ما هو وطن" فينا، ثم اكتشفت أنه يبدو أني أعامل مفهوم الوطن باعتباره وعياً يملؤنا، لا أرضاً نطأها، نحن نستلم صفتنا الوطنية منذ الولادة دون اختيار (مثلما نستلم ديننا)، وهات يا تقديس، وهات يا تصنيف، وحين نتجاوز حدود الوطن فكراً أو سفراً أو هجرة، يقفز فينا الوطن/الوعى أقوى وأجمل ثم يتقارب وعى الأفراد الذين وصلتهم نفس الرسائل ليتشكلوا معاً وعياً جماعياً اسمه أيضاً: "الوطن".

رحى أبحث فى أوراقى عن تطور علاقتى بهذه الفكرة، فوجدت ما يلى:

أولاً: أهديت ديوانى بالعامية لوطنى (الأرض/الناس) هكذا

قلت أهديتها لبلدنا، للى غنى .. واللى ضحاه الغنى، يا ماقلنوا يا أهل مصر يا فنانيين، يا غلابه، يا حضارة، يا تاريخ، يا ما قلنوا، ويا ما عدنوا، ضحيتونى، [واللى بنت مصر كاث فى الأصل: غنيتوه]

الهدية للى غنى، قال: "بهية لى ياسين"، واللى ضحى لىلى والجنون يغنوا لىصر تانى، واللى علمنى حلاوة المُر.. من جوا النقاية، .....، يا ترى يا أهل الحضارة والكلام الجلو وإلخن الأذان، تقبلوا منى الهدية؟ أصلى غاوى، بس يا خسارة مايش لا يس طاقية، قلت انقط بالكلام.

ثانياً: أنهيت نفس الديوان، بقصيدة أدعو بها صديقاً كان على وشك الاستقرار فى الولايات المتحدة للعودة وأنا أذكره بما هو "نحن" /"مصر/الوطن"، قلت له:

يا طير يا طائر فى السما... رايح بلاد الغرب ليه؟ إوعك يكون زهقك عماك: عن مصرنا، عن عصرنا، تفضل تلف تلف كما نورس حزين، حاطح فىن .. والوجد بيشدك لفوق، الفوق قضا، الفوق قضا. وغنيك تشعلق كل ماذى وتنسى طين الأرض مصر.

ثالثاً: رجعت أؤكد فى نهاية نفس القصيدة أن مصر ليست هى طين الأرض، ولكنها قاعدة، وعينا ننطلق منها إلينا، إلى كل الناس، قلت:

دانا لما بابص جوا عيون الناس، الناس من أيها جنس، بالاقيةا فى كل بلاد الله خلق الله. وفى كل كلام، .. وفى كل سكات...، واذا شفت الألم، الحب، الرفض، الحزن، الفرحه فى عيونهم...، يبقى باشوف مصر، وباشوفها أكثر لما بابص جوايا، .....، والناس الحلوين اللى عملوا حاجات للناس، كانوا مصريين!!

...: "كل واحد هم ناسه، كل واحد ربه واحد، كل واحد حر بينا، يبقى "مصري"، .... تبقى مصر بتاعى هى الدنيا ديه كلها، هى وعد الغيب، وكل الخلق، والحركة اللى تبنى.

رابعاً: وفى صحوة أخرى، وجدت لى قصيدة متجاوزة، لم تنشر، وجدتني من خلالها - بعد أن عزيت التعصب المحتمل - أقبع فى قبري وطني/الرحم/ الشبر هكذا:

لما تمايل جمعهم مكبراً، مهلاً، فى حب أرضنا الوطن، أفرغت وعيى من خبايا حكمتي، فضبطت نفسى هاتفاً: "يحيا الوطن".....

فأطلت من بين الضلوع، ابن السفاح الباسم المستهزئ: ومضى يقول: "كل من ولدته أمه وطن، مثل الوطن"

يا أرض ربى قد وسعت الناس والسباع والطيور والحجارة، لكنى أرنو لشبر واحد: "أنا"، يضم عظمى محتوينى رجفاً.

### وبعد

يا صديقى العزيز، يا إبني، أيها السائل عن معنى الوطن دعنى أشرك أن أحت لى أن أعيد التعرف على بعض رحلتى، وكيف تكونت عندي فكرة أن الوطن هو وعى فى حالة تكون مستمر، وأنه ليس صنماً، الوطن هو "نحن" "معاً" نتشكل "إليه" استمرار.

إن ما يقوم به إعلامنا هذه الأيام هو إجهاض لأى احتمال وعى طازج لا يكاد يتكون حتى يتخثر بيساقنا نحن فيه هكذا.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

